

خلع عبد الحميد

اسباب اللثة العكوبة

قال صاحب كتاب سقوط عبد الحميد ان قرؤ الجنود الذي حدث في الاستانة في ١٣ ابريل سنة ١٩٠٩ ودعا الى خلع عبد الحميد هو ام الحوادث التي حدثت في المملكة العثمانية واخرها فانه كولا ذلك التمرؤ لما ساد حزب الارتجاع ولوربهة وجيزة ولا حدثت مذابح اطلته ولا زحفت الجنود من مكدونية على الاستانة ولا خلع عبد الحميد . لكن سبب ذلك التمرؤ غير معروف تماما او ان الذين يعرفونه لا يريدون ان يوحوا به او انهم قتلوا او نكفوا او دهشوا بجناح الحوادث التي تلت ذلك حتى تعذر عليهم الكلام . ومن رأي الكاتب ان التمرؤ اكثر من سبب واحد وان من اسبابه الاموال التي رشايها عبد الحميد الجنود . لكن اثبات ذلك اثباتا يني كل ريب متعذر لان المجلس الحربي لم يعلن ما اكتشفه من هذا القبيل ولو ان الامور التي ذاعت ثبتت التهمة اثباتا يكاد يني كل ريب فقد اعترف نادر انما انه رشا الجنود لكي يجاهروا بالعريان وايدالباش انما اعترافه هذا . ووجدت في بلذر تقارير (جرائد) كثيرة ثبتت ذلك مثالة ان حياربك المستشار السابق كتب في تقريره الى عبد الحميد ما ترجمته « ان اكثر الجنود في حامية الاستانة واقفوا على التمرؤ برئاسة مولان زاده رفعت ويمكننا ان ثبت ذلك لشوكتكم اذا اردتم وسيشقون بعد قليل على الجمعية فسودتي لشوكتكم تضطري الى القول بان لا بد لكم من الاتفاق بسواء »

وقد ورد طلب المال في تقريره او جرائده مرارا كقوله « اذا اردتم ان تسبحوا وتعرفوا كل ما هو جار فلا بد لكم من اتفاق المال بكثرة » وكقوله « ان عون الله وشيخ الله لا يشقان بجلالكم اذا لم ترسلوا خادمكم غالب بك بخمس مئة ليرة » وكقوله « اذا لم تسبقوا فيستعمل على هذا العبدان يتحمل المسؤولية ويبقى في الخدمة » . وكقوله « اذا لم تساعدوا بالمال هذه الجمعية (الجمعية المحمدية) كانت العاقبة وخيمة جدا وكونوا على ثقة ان لا احد يعلم ان المال منكم »

وقال توفيق بك في تقرير (جرائد) له ما ترجمته « ان المبرعثان الذين ظهروا بظهور العدوان لشوكتكم سيستأصلون قريبا وقد علمت ذلك الآن بعد البحث فلتطمئن ذاتكم للقدسة » لكن وجود هذه التقارير لا يثبت ان اللثة كانت من تدبير عبد الحميد اذ يشمل انها

كانت من تدبير غيره والذين ديروها توسلوا اليه بطلب المال منه . ولما كان بحاجة من جمعية الاتحاد والترقي شديداً جداً وافق المديرين على تدبيرهم احتفاظاً بحياته لاسيما وان اخصائه كانوا يخشونه من الجمعية . ومما يؤيد اطلاقه على تدابير المتمردين انه لم يبدِ اقل اضطراب لما سمع بظهور التمرد وانه يادر الى الصغو عن الضباط المتمردين

وقد قال شوكت باشا لكاتب مرتين ان عند المجلس الحربي اداة قاطعة على ان الفتنة حدثت بدسائس عبد الحميد وقال له مختار باشا انه ليس في النية نشر هذه الادلة ابداً . واستنتج الكاتب من ذلك ان نشرها يضر بكثيرين من رجال الدولة وربما اضر باكثر من واحد من رجال السياسة الاجانب في تركيا

ولكن كامل باشا يعتقد انه لم يكن لعبد الحميد يد في الفتنة لانه شديد الخوف على نفسه وغاية ما يشاء ان يبقى على عرشه ولو زالت السلطنة من يده

ومن رأي الكاتب ان الادلة مشورة نبي ان التتود التي وجدت مع الجنود هي من عبد الحميد . وقد اخبره توفيق فكرت بك الشاعر مدير مدرسة غلطة سراي في شهر فبراير اي قبل الفتنة بشهرين ان عبد الحميد سحب من البنوك مليوني ليرة . وخيف حينئذ ان يرسل بها الى اليمن ليتوي الثوار على رجال الدستور وبعد قليل اشارت جريدة سريسي الى ذلك ثم اقبلت الى ثملق عبد الحميد . وفي التاسع من ابريل كتب مكاتب التيس من فينا « انت كثيرين من المعارفين في الامتانة يسبون حملات جريدة سريسي وجريدة اخرى غير تركية على جمعية الاتحاد والترقي الى تأثير بعض المعاهد المالية التي تود ان تظل ثقة الناس بالجمعية »

وكتب علي كمال بك محرر اقدام الى حديق له في الامتانة معترفاً بانه اخذ عشرة آلاف ليرة من عبد الحميد قبلما هرب من تركيا في نصف ابريل

اما الجمعية الحميدية فلم يكن لها من حجة الدين غير الاسم وموسسوها كلهم من غير رجال الدين الا الدرويش وحدتي وهو من البكاشية وهي ابعد الطرق عن التعصب الديني لكن هذه الجمعية اتخذت النداء بالشرعية شعاراً لها فانضم اليها كثيرون حتى وجد المجلس الحربي ٥٤٣ من اكبر المحرضين على الفتنة من اعضائها وكان اقدرهم ناراته لكنه نجح من القتل بارشاده الى الاماكن التي اخفى فيها عبد الحميد امواله

وقد نشأت الجمعية الحميدية قبل الفتنة بضمه اسابيع والمرجح انها نشأت بايعاز عبد الحميد ولكن لا يمكن اثبات ذلك بالدليل القاطع . وكان مراد بك من اعضائها وتاريخه

معروف في هذا النظر فإنه أتى الى هنا وانتأ جريدة ميزان وكان يقول ان مقالاته لقيم عبد الحميد وتعمده ثم ذهب الى باريس فارسل عبد الحميد من استرضاء وعاد به الى الامتانة . وما حدث الانقلاب في شهر يوليو ونودي بال دستور اراد ان ينضم الى جمعية الاتحاد والترقي فلم تقبله فحفظ عليها وعاد الى اصدار جريدته ميزان وجعل يحمل فيها على الجمعية حملات منكرة ويدعو المؤمنين الى التحسك بالشريعة الفراء التي انتهكت الجمعية حرمتها حسب دعواه . نصار النداه بالشريعة شعار كل ناظم على الجمعية او مخالف منها وجعلت جرائد بلذ مثل ميزان وفلكان وسريسي تحاول اقناع الجنود بان ضباطهم معطلون لا دين لهم وان اكثر البعثات بكرهون الاسلام واتهمت جريدة ميزان احمد رضا بك بالكفر وقالت سريسي ان ليس لاحد من اعضاء تركيا الفتاة دين ولا معتقد وانهم عازمون ان يضطروا العثمانيين الى رمي الطربوش وليس البريطة وادعت ان الكفرة لا ترضى عن تركيا ما لم تتأصل منها جمعية الاتحاد والترقي

ومن رأي الكاتب ان الاحرار كانوا يضربون على وتر الجمعية المحمدية كما يستدل من لمحة جرائدهم فقد قالت بي غازت بعد ان تمرد الجنود وقتلوا ضباطهم « ان الحكومة قد تخلفت الآن من الدوائس الحقة بهمة جنودنا الابطال » وقالت سريسي « ان هؤلاء الخيلاء تريد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ارادوا ان يستخدموا جيشنا المقدس لاغراضهم الحقة ولكن ابناء جيشنا الباسل علوم اسم المدرس الذي يستحقونه » . وقالت جريدة ميزان « ان الجنود العثمانية التي يضرب المثل ببسالتها اظهرت اسم فضيلة لم يشهد التاريخ مثلها فحين وقراؤها نعانى هؤلاء الابطال » . وقالت جريدة النيولوس اليونانية « ان الجيش قال جراه وطنيه ويجب ان يذكر يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٠٩ بالفخر والتعجب كما يذكر يوم ٢٤ يوليو سنة ١٨٠٨ . ولقد كان الداعي الذي دعا الجيش الى هذا العمل حبه لوطنه لاغير فإنه استل سيف وطلب مع هذا الحكم العظيم الذي تان المملكة محنة وتوطيد الدستور الحقيقي والحرية »

وقالت جريدة البرودس « ان الجيش برهن ايضا انه حقيق بما يصفه التاريخ به وانه محن بفضائل ظهرت في اليومين الاخيرين على صورة تشدعي اعجابنا كما تشدعي احترامنا وثقتنا »

ثم ان الجنود الذين اشتركوا في هذه الفتنة في الامتانة وكانوا ينادون بالشريعة لم يكن غرضهم دينيا على ما يظهر لانهم لم يتدوا على المسيحيين بل على المسلمين فتركوا محرري الجريدة

اليونانية التي كانت تذهب قبل ذلك بابام وحاولوا نيل حين جاهد الذي كان يدعوهم ويدافع عنهم من انتقاص الجريدة اليونانية لم

قال الكاتب وكان حائراً في حادثة ١٣ ابريل كما سيجي انه سمع الجنود يقولون اياكم ولاسي البراييط فلا تمسوا احداً منهم بسوء . وكانوا يكررون ذلك حرفياً كأنه آية منزلة دليلاً على انهم لقتوه تلقيناً من مديري الفتنة ولولا ذلك لاحتدوا على الاوريين قبل ان احتدوا على غيرهم . ولاحظ انهم كانوا يعترضون على من يروونه لابساً قبة اياقة اورية من المسلمين لرموا امرأة مسلة وقصوا شعرها بدعوى ان مشيها في الشارع مخالف للشريعة . ثم ان السرعة التي فشت فيها الفتنة دليل قاطع على انها كانت قديرة . وذكر من اسبابها اولاً ان انقلاب يوليوس السابق حرم محمد بن القاسم الجواسيس من اسباب مشيهم . وثانياً ان الحكومة الدستورية اطلقت المسجونين كلهم لانها لم تجد وجهاً لاختلاق المسجونين السياسيين غير اصدار العفو العام . وكان بين المسجونين كثير من الاشقياء والبهال الذين يشتركون في كل ثورة . وثالثاً ان الغناء جوازات السفر اغرى كثيرين من الثوار بالهجرة الى الامتانة . ورابعاً ان الخالين ومخوم من الذين شاركوا في الاعتصاب ضد النماحبوا انهم صاروا اصحاب الحول والطول وطلبوا جانياً من التعريض الذي ادته الحكومة الضمنية وبطن الكاتب ان الحكومة العثمانية اعطيتهم شيئاً من سرافرادوا جرأة وثقة وضعف شأن الحكومة في عيونهم وصاروا هم وامثالهم يعمنون البيارق ويخرجون في المراكب ويشدون الاناشيد الحماسية وكان كبار رجال الحكومة يشقون في وجوههم ويخرجون من بيوتهم لمقابلتهم ويشكرون لم منيعهم

ولما قتل حسن فهمي محرم سربتي اجتمع جمع غفير جداً من الفوضاء امام الباب العالي وارسلوا الى حلي باشا يدعونهم لمقابلتهم فرفض مقابلتهم اولاً ولكنهم اصرروا على طلبهم وتهددوه بفرج وكلهم بنطق قائلهم يا اولادي ووعدهم بان يتدل جوده في اكتشاف القاتل وان العدل يجري مجراه . ومضت الفوضاء وطلبوا مقابلة احمد رضا رئيس مجلس البعثان فكلمهم من التباك قائلاً ان قوانين المجلس تمنع عليه الخروج منه اليوم

ورأى جنود الامتانة فرقا كبيراً بين العصر الماضي والعصر الحاضر في الماضي لم يكونوا يخرجون قمران (المناورات) كل يوم ولم يكن يطلب منهم ان ينسلوا دواماً وينفوا ثيابهم وكان ضابضهم كثيري الساهل ولا سيما المرتنون منهم من تحت السلاح فرشوة قبيلة فيجازون عن كل زلة . اما الآن فصار الضباط من الشغلين المرتضين واكثرهم متعلم في المانيا ونصف

كلامهم بالألمانية واعتقادهم الديني ضعيف لاسيما وانهم يعلقون على جذران غرقهم صور النساء العاريات بدل الآيات القرآنية

وكان الوضاظ (الخوجات) يقولون لجنود ان هؤلاء الضباط فاسدوا العقيدة وقد انقرا جمعية مرادها ان ترفع اسم الخليفة من الخطبة وتوجب على المحتلين ليس البرانيظ . وكانت العثمانيون عموماً قد حسبوا ان الدستور يصلح البلاد حالاً ويدبر عليها الخبيرات فلما مضت سنة ولم يفعل خامرهم الريب في نيات المتولين امره

ومن رأي الكلاب ان هذه الامور جرت كلها والحكومة غافلة عنها فان رفعت باشا قال في إحدى السفارات في ١٢ ابريل ان الامن ضارب اطناباً سيف الامتانة وفي كل جهات السلطة . ولكن بلدز لم تكن غافلة ويقال انه لما دعي البرنس عزيز العشاء في بلدز في ١١ ابريل قال نساء السراي للبرنس زوجته انه لا بد من حدوث حادث في الامتانة قريباً فعلينا ان نهرب منها بأسرع ما يكون . ولكن ان كانت الحكومة غافلة او متغافلة بجمعية الاتحاد والترقي لم تكن غافلة ولا متغافلة معها قال رفعت باشا . والظاهر انها كانت تتأهب لمقاومة الفتنة فاطلقت في ١٢ ابريل انها ابطت هيشها السرية وصارت حزباً سياسياً عادياً ولعلها فعلت ذلك دفقاً لما كانت توجب وقوعه قبل مجيء رجالها من سلايك

وهنا وصل الكلاب الى مارآه في ١٣ ابريل اول يوم من ايام الفتنة فوصفه وصفاً سهياً جداً . كان مقبلاً في روملي حصار طريح الفراش فلما شفي خرج للفرقة في ١٣ ابريل هو وصديق له اسمه المن رسن نسبح رجلاً شيخاً من الاتراك يقول لصديقه لقد نتج باب جهنم في اسطنبول وايد معطي نذاكر المرود في السفور هذا اظير فاستغرب الكلاب اشد الاستغراب ورأى انه يجب عليه كصحافي ان يسرع الى حيث نشب القتال . وسمع في الطريق من الذين كانوا يكتونهما من الترك واليونان ان الجنود قتلوا رجال جمعية الاتحاد والترقي والوزراء وانهم يحيطون الآن بالباب العالي ويجلس الميخوثان وانهم عازمون على نهب بيوا ولا يأمن احد في حياته . ولما وصلوا الى اقرب محطة من اسطنبول قال المتر رسمي انه عزم ان ينزل ويركب مركبة وينهب الى بيت امه في تقسيم لانها كانت ساكنة هناك ليهرب بها فسمعه رجل تركي يقول ذلك فقال له لا تخف على امك لان ليس غرضنا مهاجمة البيوت وسمعهم ضابط شاب فقال لا تخافوا من هذه الحركة لاننا نستطيع ان تأتي بمشرين الفاً من الجنود حالاً . وكان هناك حاملون من الاكراد فلما سمعوا ما دار بينهم من الحديث ابرقت اسرهم ووقفوا يتأمرون وكانهم قالوا هذه فرصة سانحة هلم لننهب والسلب ثم نزلوا واسرعوا

نحو محل الفتنة من غير ان يتنازلا لآخذ تذاكر المرور عن الكبري (الجسر)
وهنا اسهب الكلاب في لوم الحكومة لانها لم تقمع الفتنة قبل استفحالها بل قبل حدوثها
وقد كرم ما كتبه محمود مختار باشا عنها في نبي اسير بلايك بعدها بايام ويظهر منه جليا انه
كان في الامكان قمع الفتنة عند اول حدوثها لو اشتملت الوسائل الفعالة ولكن
ارسل اليه ناظر الحربية تلفرافا الساعة اطلاسة صباحا بحجرة فيه بحدوث التمرّد فلم يصله
الا الساعة السابعة . وجرت وسائل قمع الفتنة على هذا النقي من الابطال . وزد على
ذلك ان الجنود الذين تمردوا لم يتمردوا كلهم دفعة واحدة ولم يجتمع منهم في ساحة ايا صوفيا
اكثر من الف عسكري حتى الساعة التاسعة صباحا كأن بقية الحامية لم تكن قد سمحت
حينئذ على التمرّد . ولما وصل كاتب الكتاب الى تلك الساعة الرابعة بعد الظهر
وجد فيها نحو سبعة آلاف من الجنود امام مجلس المبعوثان والسلاح قليل معهم حتى لو
هاجمتهم قوة مسلحة حينئذ لتغلب عليهم خالاً . ولما بلغهم ان جنود السركرية قادمة عليهم
من الجهة الاخرى وقع الاضطراب فيهم وحاول بعضهم الفرار . وهذا رأي حلي باشا
ايضا كما صرح به للكتاب في ١١ يونيو . ومن رأي الكتاب ان الوزارة كانت تكمل الامر
الى الجمعية والجمعية تكمل الاسرالى الوزارة فكانت النتيجة ان اهمن الفريقان ما يطلب
منهما هذا اذا لم تكن الجمعية قد قصدت الغايات عن الفتنة الى ان تستعمل فتوصل بها الى
خلع عبد الحميد واستئصال آثار حكومته . ولكن الظاهر ان الطرق اتسع اكثر مما كانت تظن
واشترك في الفتنة الجنود العيادة (شامس) الذين لم تكن تظن انهم يشتركون فيها
ومما ذكره الكتاب محجبا به ان الذين كانوا يرواه في ساحة ايا صوفيا كانوا يحضرونه على
الخروج منها لتلا بمرض نفسه للقتل . قال له امام ابيض الحية مويجا انك شاب فعلى م
تلقى بنفسك في التهلكة وهذا كان لسان حال كل الذين تكلموا معه اما هو فكان يشعر ان لا
خوف عليه لانه لم ير حينئذ مثل ما ابداه الطعام في مذايح الارمن منذ ثلاث عشرة سنة .
وبيناهو يمشي على حذر سمع صوت مركبة قادمة فالتفت كل احد ليرى من فيها واذا به الامير
محمد ارسلان مبعوث اللادقية وتدل بشاشة وجهه على انه لم يكن يدري شيئا مما هو حادث
وكان جماعة من انكراء في قاعة شاوره للصدارة وينهم احد رضا بك رئيس مجلس
المبعوثان ورئيس جمعية الاتحاد والترقي وكان بينهم ايضا مكروثير انصدر الاعظم وناظر
الاقواف . وبقى احد رضا هناك الى الساعة الثانية بعد الظهر وبلغه حينئذ ان الوزارة
عازمة على الاستعفاء فكاتب استعفاءه هو ايضا وقال فيه « اني قد تخليت حياتي حتى الان

لاجل بلادي ومن حيث اني انا المقصود بهذه الحركة فاقدّم استغاثي من رئاسة مجلس المبعوثان جاز بمصلحة الوطن . وانتقد الكتاب صورة هذا الاستغاث وقال انه لو وقف ادمند برك (الياسي الانكليزي) هذا الموقف لكتب شيئاً يخلد ذكره مدى الاديهار وكان امام الباب العالي في عطمة شارع خيقي جماعة من الاتراك فاسرع الكاتب اليهم ليقف معهم واذا هو بطلقات كثيرة متتابعة والمرجح انها الطلقات التي اردت الامير محمد ارسلان كما سيجي فاندفع الجمع الى الجهة التي كان فيها كالسبل الجارف وجرفة معه فلم يشعر الا وهو امام باب جريدة ثروة الفنون فدخله وافضل الباب ورائه . وحاول الجمع فقه فلم يستطع

وبعد مدة فُتح الباب فخرج واذا الجمع لم يزل واقفاً حيث كان فوقف معه وحينئذ انزل بعض الجنود المتمردين فوقف الشرطي الذي كان هناك وسلم بالاحترام واثار بيد مرتفعة الى ساحة ايا صوفيا . وسرّ الصدر الاعظم بمركبته فلم يلتفت اليه احد اما احمد رضا فخرج خفية من باب سري لانه رأى اثنين من المتمردين واقفين امام الباب الكبير وبنديقة كل منهما في يده وهما ينتظران خروجه ليفتكا به . وبين الساعة الثالثة والرابعة تمكن الكاتب من الوصول الى ساحة ايا صوفيا بعد عناء شديد فرأى هناك نحو سبعة آلاف من الجنود وهم ينادون اقتلوا رجال الجمعية اقتلوا احمد رضا اقتلوا حسين طاهد . ولما رأى انه يتعمد رعليه ان يشاهد ما يريد مشاهدته وهو واقف بين الجمع صعد على شجرة ووقف بين اغصانها فسمع النداء يتكرر لاجل الدستور والشريعة والسلطان ولكن كآب النداء لاجل الشريعة والسلطان اكثر من النداء لاجل الدستور وكان بين الجنود قليل من الخوجات ورجال الملكية . وقد اظهر التحقيق بعد ذلك انه كان بينهم عاطف بك الذي كان سابقاً مدير السجلات في المدرسة الطرية واحسان بك رئيس سكرتيرية ناظر النافعة والامير الاري محمد بك ورفيق باش الذي كان من اكبر الجواميس في العهد السابق والخوجه عاكف اخندي وكان يوزع على المتمردين منشورات تحضهم على التمرّد وكثيرون من السفهاء جاؤا وسانرين سير الجنود من مدن السلطان محمود ثم جاء جمهور من العلماء ووراءهم تلاميذ مدرسة بايزيد وغيرها من المدارس

وهنا ترجم الكتاب ما نشره بايان زاده اسمعيل حتى مبعوث بغداد في جريدة طين عجا حدث داخل مجلس المبعوثان وعن مقتل الامير محمد ارسلان . وملتخص ذلك مع ما نقله في الجزء التالي